المطلب الثاني: حياته العلمية

طلبه للعلم:

نشأ الإمام الطحاوي في حِجْر والده الذي حرص على تنشئته نشأة صالحة منذ الصغر حيث بدت على ابنه علامات النبوغ، فوجهه أولاً لحفظ القرآن الكريم، ثم سمع منه الحديث[1].

قال الإمام العيني في ترجمته: وسمع أبو جعفر من أبيه، وكان من أهل الخير والدين[2].

ثم أخذ الفقه الشافعي عن خاله العلاَّمة المزني، وسمع منه مسند الإمام الشافعي ورواه عنه، كما أخذ الفقه الحنفي على يد شيخ أصحاب أبي حنيفة بمصر آنذاك أبو جعفر أحمد بن أبي عمران (ت: 280هـ)[3].

قال الإمام ابن يونس: قال الطحاوي: أوَّلُ من كتبتُ عنه علمَ الحديث المزني وأخذتُ بقول الشافعي، فلما كان بعد سنين قدم أحمد بن أبي عمران قاضيا على مصر فصحبته وأخذتُ بقوله[4].

وكذا أخذ علمي الحديث والفقه من خلق كثير من علماء مصر وغيرها ممن قدموا إليها. قال ابن يونس: سمع الطحاوي الحديث من خلق من المصريين والغرباء القادمين إلى مصر[5].

رحلاته:

لم تقف همة الإمام الطحاوي في طلب العلم على موطنه "مصر" مع أنها كانت ممَّن تشد إليها الرحال لطلب العلم، لكنه طاف كثيرًا من البلاد ليسمع من شيوخها كما هو شأن كثير من العلماء؛ ففي سنة ثمان وستين ومائتين للهجرة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام- رحل إلى بلاد الشام، وتنقَّل بين طبريّة، وغزة، وعسقلان، وبيت المقدس يسمع من جهابذة

---

(1) السير (29/15).

(2) مقدمة مغاني الأخيار، مخطوط (1/ل 7).

(3) الفهرست (292/1).

(4) تاريخ المصريين (21/1)، مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 4).

(5) مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 5).

العلماء فيها، وذهب إلى دمشق والتقى بقاضيها أبا خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأخذ عنه الفقه الحنفي[1].

قال العلامة ابن يونس: خرج -يعني الطحاوي- إلى الشام سنة ثمان وستين ومائتين، فلقي بها القاضي أبا خازم، فتفقه عليه، وسمع منه[2].

وقال الإمام العيني: ثم إن الطحاوي سمع خلقًا كثيرًا، وقد جمع بعضهم مشايخه في جزء واحد[3].

مكانته بين العلماء وثناؤهم عليه:

لقد منَّ الله تعالى على الإمام الطحاوي بالعلم الواسع، والتدين، والزهد، والاعتقاد الحسن، فنال بذلك ثقة العلماء المعاصرين له حيث ولاَّه القاضي أبو عبيد الله محمد بن عَبْدَة (ت: 313هـ) القضاء نيابة عنه بعد السبعين ومائتين، ثم ترقَّتْ حاله شيئًا فشيئًا حتى انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة بمصر.

ولقد شهد بفضله وعلومه كبار الأئمة، واحتجوا بأقواله في الحديث وعلومه والفقه وأصوله، وأثنى عليه كل من ترجم له، فهذا تلميذه المؤرِّخ الكبير ابن يونس قال عنه: كان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً[4].

وقال ابن النديم: كان أَوحَد أهل زمانه علمًا وزهدًا[5].

وقال ابن عبد البر (ت: 463هـ): كان من أعلم الناس بسير الكوفيين وأخبارهم؛ لأنه كان كوفي المذهب، وكان عالما بجميع مذاهب الفقهاء[6].

---

(1) لسان الميزان (275/1).
(2) تاريخ المصريين (22/1)، مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 4).
(3) مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 4).
(4) تاريخ المصريين (22/1)، مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 4).
(5) الفهرست (292/1).
(6) جامع بيان العلم وفضله (78/2).

وقال الإمام العيني: وقد أثنى عليه كل من ذكره من أهل الحديث والتاريخ من المتقدمين والمتأخرين، وغيرهم من أصحاب التصانيف[1].

أبرز شيوخه وتلاميذه:

عاصر الإمامُ الطحاوي الأئمةَ والحفاظَ الكبار من أرباب أمهات الكتب الستة وغيرهم، وشارك بعضهم في روايتهم عن الشيوخ، ولقد بلغ عدد شيوخه الذين حدَّث عنهم في كتابه "شرح معاني الآثار" تسعة عشر ومائة شيخ[2]، **ومنهم:**

- إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عَمْرو المُزَنِيّ أبو إبراهيم، خاله وصاحب الإمام الشافعي، توفي سنة (264هـ)[3].
- بَحْر بن نَصْر بن سابق الخولاني أبو عبد الله المصري، مولى بني سعد، وقد شارك الإمام الطحاويُّ النسائيَّ في الرواية عنه، توفي سنة (267هـ)[4].
- مالك بن عبد الله بن سيف بن عبد الله بن شهاب التُّجِيبيّ أبو سعيد المصري، توفي سنة (268هـ)[5].
- عبد الحميد بن عبد العزيز المصري أبو خازم البصري، توفي سنة (292هـ)[6].

كما أخذ العلمَ عن الإمام الطحاوي خلقٌ كثير ممن صار لهم بعد ذلك شأن عظيم، فأصبحوا من الحفاظ المحدثين، أو كبار الفقهاء، أو المؤرِّخين، ومنهم:

- الحسن بن القاسم بن عبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي أبو علي، القاضي الأخباري، من أبناء المحدثين فجده عبد الرحمن المعروف بـ: دُحيم ابن اليتيم، توفي سنة (327هـ)[7].

---

(1) مقدمة المغاني، مخطوط (1/ل 5).
(2) شرح معاني الآثار (10/5).
(3) الوافي بالوفيات (1251/1)، مغاني الأخيار (69/1).
(4) تهذيب الكمال (16/4)، مغاني الأخيار (90/1).
(5) تهذيب التهذيب (335/5)، مغاني الأخيار (8/3).
(6) طبقات الفقهاء (ص133)، مغاني الأخيار (156/2).
(7) البداية والنهاية (190/11)، الوافي بالوفيات (1691/1).

- عبد الرحمن بن أحمد بن يونس بن عبد الأعلى الصَّدَفِيّ أبو سعيد المصري، حفيد شيخه الكبير، المؤرِّخ صاحب كتابي: تاريخ علماء مصر، وتاريخ العلماء الغرباء الذين قدموا مصر، وقد أكثر الإمام العيني من النقل عنه، توفي سنة (347هـ)[1].

- مَسْلَمة بن القاسم بن إبراهيم الأندلسيّ أبو القاسم القرطبي، المحدث الناقد، قال عنه الحافظ ابن حجر: ما نسبه إلى التشبيه إلا من عاداه. له من الكتب: التاريخ الكبير، وما روى الكبار عن الصغار، توفي سنة (353هـ)[2].

- محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم بن زاذان الأصفهاني أبو بكر، المشهور بابن المقرئ، محدث أصفهان، له من الكتب: المعجم الكبير، والأربعون حديثًا. قال الإمام العيني في ترجمة الإمام الطحاوي: سمع من الطحاوي كتابه: معاني الآثار، وهو الذي رويتُ معاني الآثار عنه عن الإمام الطحاوي. توفي سنة (381هـ)[3].

---

(1) السير (578/15)، الوافي بالوفيات (2559/1).

(2) تاريخ العلماء بالأندلس (128/2)، لسان الميزان (35/6).

(3) تاريخ دمشق (220/51)، التقييد (27/1)، المغاني، مخطوط (1/ل 90/5).